بسم الله الرحمن الرحيم

فَلْنَضْرَعْ إِلَى اللهِ

الْحَمْدُ للهِ مُفَرِّجِ الكُرُوبِ، غَافِرِ الذُّنُوبِ، سَاتِرِ العُيُوبِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، كَانَ يَفْزَعُ إِلَى رَبِّهِ كُلَّمَا نَابَتْهُ الخُطُوبُ، وَيَسْتَغِيثُ بِاللهِ لِتَفْرِيجِ الشَّدَائِدِ وَالكُرُوبِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ المُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِ اللهِ، السَّالِكِينَ مَنْهَجَهُ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فيَا عِبَادَ اللهِ:

أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ عَلَى الدَّوَامِ؛ فَهِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتِي لاَ انفِصَامَ لَهَا، وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ الدُّنيَا دَارُ بَلاءٍ وَاخْتِبَارٍ، فِيهَا سُرُورٌ وَأَحْزَانٌ، وَعَطَاءٌ وَحِرْمَانٌ، وَمَتَاعِبُ وَآلامٌ، وَالإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ كَائِنٌ اجتِمَاعِيٌّ يُؤَثِّرُ وَيَتَأَثَّرُ، فَإِذَا وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الكُرُوبِ فَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ وَيَذِلَّ، وَيَنْقَطِعَ عَنْهُ الأَمَلُ فِي الخَلاصِ، وَالتَّفَاؤُلُ فِي تَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ، لِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لَنَا مَخْلَصًا وَمَفْزَعًا إِلَيْهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1]، وَوَعَدَ سُبْحَانَهُ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[3]، وَالمُؤْمِنُ يُقَابِلُ النَّكَبَاتِ بِالرِّضَا وَالتَّسلِيمِ، فَتَرَاهُ صَابِرًا مُتَفَائِلاً، وَلا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَالقَانِطُ ضَعِيفُ الصِّلَةِ بِاللهِ، مُهْتَزُّ اليَقِينِ ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[4]، وَهَؤُلاءِ هُمْ صَفْوَةُ عِبَادِ اللهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ وَرُسُلُهُ – عَلَيْهِمُ السَّلامُ – فَزِعُوا إِلَى اللهِ فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَضَرَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ، فَهَذِهِ ضَرَاعَةُ أَيُّوبَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمَّا أَصَابَهُ البَلاءُ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى

---

(١) سورة النمل / ٦٢ .

(٢) سورة الشرح / ٥-٦ .

(٣) سورة الطلاق / ٧ .

(٤) سورة الحجر / ٥٦ .

مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ، فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾[1]، فَبِضَرَاعَتِهِ لِمَوْلاهُ فِي سَاعَةِ الكَرْبِ استَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَنَجَّاهُ مِنْ بَلْوَاهُ، وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا يُونُسُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمَّا التَقَمَهُ الحُوتُ، وَأَصْبَحَ فِي ضَرَّاءَ وَكَرْبٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ، استَصْرَخَ مَوْلاهُ لِيَكْشِفَ عَنْهُ البَلاءَ، فَفَرَّجَ اللهُ غُمَّتَهُ، وَكَشَفَ كُرْبَتَهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وَنَجِدُ أَبَانَا الخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمَّا دَبَّرُوا لَهُ المَكَايِدَ لِيُلْقُوهُ فِي النَّارِ؛ ضَرَعَ إِلَى اللهِ جَلَّ جَلالُهُ، فَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا، ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ، قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ، وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾[3]، وَكَذَلِكَ نُوحٌ عليه السلام لَمَّا كَادَ لَهُ قَوْمُهُ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾[4]، فَنَجَّاهُ اللهُ مِنْ كَيْدِهِمْ، يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[5]، وَزَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – سَأَلَ رَبَّهُ الوَلَدَ وَقَدْ بَلَغَ هُوَ وَزَوْجُهُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا، فَحَقَّقَ اللهُ أُمْنِيَّتَهُ، وَبَلَّغَهُ مُرَادَهُ، بِسَبَبِ عُمْقِ صِلَتِهِ بِاللهِ، وَدُعَائِهِ المُستَمِرِّ، وَفَزَعِهِ إِلَى خَالِقِهِ فِي كَرْبِهِ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ، فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[6]، وَإِذَا استَعْرَضْنَا ضَرَاعَاتِ الأَنْبِيَاءِ لِرَبِّهِمْ وَجَدْنَاهَا مُتَمَاثِلَةً، فَكُلُّهُمْ ضَرَعَ إِلَى رَبِّهِ، وَكُلُّهُمْ فَزِعَ إِلَيْهِ فِي الكَرْبِ، وَكُلُّهُمْ جَاءَهُ الفَرَجُ بِإِذْنِ مُفَرِّجِ الكُرُوبِ الَّذِي لا يَتَخَلَّى عَنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَكَيْفَ بِأَصْفِيَائِهِ وَأَنْبِيَائِهِ؟ وَقِصَصُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَوَاقِفُهُ مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ،

---

(١) سورة الأنبياء / ٨٣-٨٤ .

(٢) سورة الأنبياء / ٨٧ .

(٣) سورة الأنبياء / ٦٨.

(٤) سورة القمر /١٠ .

(٥) سورة الأنبياء / ٧٦ .

(٦) سورة الأنبياء / ٨٩-٩٠ .

وَمَا كَانَ مِنْ تَمَسُّكِهِ بِحَبْلِ اللهِ المَتِينِ، وَضَرَاعَتِهِ إِلَيْهِ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ، فَفِي يَوْمِ بَدْرٍ وَيَوْمِ حُنَيْنٍ وَيَوْمِ الأَحْزَابِ مَوَاقِفُ مَشْهُودَةٌ، فَضْلاً عَنْ قِصَّةِ الغَارِ وَإِحَاطَةِ المُشْرِكِينَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ اعتَصَمَ بِاللهِ وَفَزِعَ إِلَيْهِ، فَكَانَ التَّفْرِيجُ وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ، وَنَزَلَتِ السَّكِينَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ، لأَنَّهُ عَلِمَ بِأَنَّهُ ثَانِي اثنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ المُؤْمِنَ لَيَعْلَمُ تَمَامَ العِلْمِ أَنَّ مَبْدَأَهُ وَمُنْتَهَاهُ مِنَ اللهِ وَإِلَى اللهِ، فَإِنْ وَثَّقَ عَلاقَتَهُ بِاللهِ؛ وَجَدَ نُصْرَتَهُ وَتَفْرِيجَهُ فِي شَدَائِدِهِ وَكَرْبِهِ، فَهَذَا رَسُولُ اللهِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – عَلَّمَهُ رَبُّهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾(٢)، وَإِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلامُ– يُعَلِّمُنَا مَعْنَى اللُّجُوءِ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ الشِّدَّةِ، وَالفُسْحَةِ قَبْلَ الضَّيْقِ، فَمَنْ تَعَرَّفَ إِلَى رَبِّهِ فِي الرَّخَاءِ عَرَفَهُ فِي وَقْتِ الشِّدَّةِ، قَالَ الخَلِيلُ إِبرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلامُ– لِقَوْمِهِ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ، أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ، ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(٣)، هَكَذَا تَكُونُ الصِّلَةُ بِاللهِ تَعَالَى دَائِمَةً غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ فِي كُلِّ أَحْوَالِ المُسلِمِ، فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَسَرَّائِهِ وَضَرَّائِهِ، وَفِي عَافِيَتِهِ وَشِدَّتِهِ وَبَلائِهِ. وَجَاءَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ لِتُؤَكِّدَ هَذِهِ المَعَانِيَ السَّامِيَةَ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ وَالكُرَبِ، فَفِي حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ المَشْهُورِ: ((تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ

(١) سورة التوبة / ٤٠ .
(٢) سورة الأنعام / ١٦٢ .
(٣) سورة الشعراء / ٧٥-٨٢ .

الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا))، وكَانَ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – أَنْ يَقُولُوا عِنْدَ الفَزَعِ فِي المَنَامِ: ((أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ))، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا أَصَابَ عَبْدًا هَمٌّ وَلا حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابنُ عَبْدِكَ وَابنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ استَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، مَا قَالَهُنَّ مَهْمُومٌ قَطُّ إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ حُزنَهُ وَهَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا))، وَلَقَدْ كَانَ الفَزَعُ إِلَى اللهِ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ تَفْرِيجِ الهُمُومِ وَالكُرَبِ، لِهَذَا ذُكِرَ عَنْ أَحَدِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: عَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ وَلَمْ يَفْزَعْ إِلَى قَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(١)، وَعَجِبْتُ لِمَنِ اغتَمَّ وَلَمْ يَفْزَعْ إِلَى قَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

أَيُّهَا المُؤمِنُونَ:

إِنَّ الفَزَعَ إِلَى اللهِ وَاللُّجُوءَ إِلَيْهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ يُعَدُّ مِنَ الوَسَائِلِ الَّتِي يَكْفِي اللهُ بِهَا الإِنْسَانَ هَمَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيُفَرِّجُ بِهَا ضَائِقَتَهُ وَكُرْبَتَهُ، وَلَكِنْ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ لا بُدَّ أَنْ يَجْمَعَ الشُّرُوطَ الآتِيَةَ: أَوَّلُهَا تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ خَافَ اللهَ وَاتَّقَاهُ؛ كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، وَمَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ فَلا يَخَافُ شَيْئًا، جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنِ اتَّقَى اللهَ كَفَاهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ اتَّقَى النَّاسَ وَلَمْ يَتَّقِ اللهَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ النَّاسَ وَخَذَلَهُ))، وَمِنْ شُرُوطِ تَفْرِيجِ الكَرْبِ التَّعَرُّفُ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكُرَبِ؛ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ))، وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ التَّفْرِيجُ عِنْدَ الاضْطِرَارِ، إِذَا استَغَاثَ العَبْدُ بِاللهِ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ وَخَلَّصَهُ مِنْ كُرْبَتِهِ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

(١) سورة آل عمران / ١٧٣ .

(٢) سورة الأنبياء / ٨٧ .

(٣) سورة البقرة / ١٩٤ .

وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(١)، وَمَنْ أَرَادَ تَفْرِيجَ الكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الاستِغْفَارِ، فَقَدْ حَكَى اللهُ عَنْ سَيِّدِنَا نُوحٍ – عَلَيْهِ السَّلامُ – أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾(٢)، فَعَلَّمَهُمُ الاستِغْفَارَ حَتَّى يُغَاثُوا، وَيُنْشَرَ عَلَيْهِمُ الخَيْرُ الوَاسِعُ. وَمِنْ أَهَمِّ الوَسَائِلِ لِتَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ ابنَ نُوحٍ – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمْ يَسْتَصْحِبِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَنْجُوَ مَعَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي الفُلْكِ المَشْحُونِ، وَلَوْ عَمِلَ العَمَلَ الصَّالِحَ لَكَانَ مِنَ النَّاجِينَ، قَالَ تَعَالَى رَدًّا عَلَى نُوحٍ – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ نَجَاةَ وَلَدِهِ: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾(٣)، وَكَذَلِكَ كَانَ التَّفْرِيجُ عَنْ عِبَادِ اللهِ بِسَبَبِ عَمَلِهِمُ الصَّالِحِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٤)، وَلا بُدَّ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾(٥)، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الشُّرُوطِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))، وَبِقَدْرِ يَقِينِكَ بِوَعْدِ اللهِ وَثِقَتِكَ بِهِ سُبْحَانَهُ يُفَرِّجُ عَنْكَ كُلَّ كُرْبَةٍ، وَيُيَسِّرُ لَكَ كُلَّ عَسِيرٍ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَوَثِّقُوا صِلَتَكُمْ بِالوَاحِدِ الأَحَدِ، وَافْزَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَكَرْبٍ؛ يُجِبْ دَعْوَتَكُمْ، وَيُفَرِّجْ كُرْبَتَكُمْ، وَيَكْشِفْ عَنْكُمْ كُلَّ مَا أَهَمَّكُمْ، وَيَقْضِ كُلَّ حَوَائِجِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

(١) سورة النمل / ٦٢ .
(٢) سورة نوح / ١٠-١٢ .
(٣) سورة هود / ٤٦ .
(٤) سورة الأنبياء / ٩٠.
(٥) سورة الطلاق / ٣ .

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، يَصِلُ مَنْ وَصَلَهُ، وَيُنْجِي مَنْ تَعَلَّقَ بِحِبَالِ رَحْمَتِهِ، هُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَدَقُوا اللهَ فِي إِخْلاصِهِمْ وَتَوَكُّلِهِمْ عَلَيْهِ وَثِقَتِهِمْ بِهِ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ وَسَارَ عَلَى دَرْبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ الانْقِطَاعَ عَنِ اللهِ وَالغَفْلَةَ، وَسُوءَ الظَّنِّ بِوَعْدِ اللهِ، وَضَعْفَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، كُلُّهَا مِنْ أَسْبَابِ وُقُوعِ الأَزَمَاتِ، لِذَلِكَ لا يَجِدُ صَاحِبُهَا التَّفْرِيجَ وَالخَلاصَ مِنْ كُرَبِهِ وَهُمُومِهِ وَغُمُومِهِ، فَلا بُدَّ مِنْ دَوْرَةٍ جَدِيدَةٍ يُعِيدُ النَّاسُ فِيهَا تَقْوِيَةَ صِلَتِهِمْ بِاللهِ تَعَالَى، تَوَكُّلاً عَلَيْهِ وَيَقِينًا بِوَعْدِهِ، وَقُوَّةَ إِيمَانٍ تَجْعَلُهُمْ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ؛ لأَنَّهُ القَوِيُّ وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ لِمَنْ دُونَهُ، وَهُوَ النَّافِعُ وَالضَّارُّ وَمَا سِوَاهُ عَاجِزٌ، وَهُوَ المُعْطِي وَالنَّافِعُ، وَمَا سِوَاهُ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلا ضَرًّا، وَلا مَوتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا. وَكَمْ نَعَى اللهُ عَلَى البَعِيدِينَ عَنْ رَبِّهِمْ، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ أَشَدُّ افتِقَارًا وَحَاجَةً إِلَى اللهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ عِبَادَتِهِمْ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ، إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ، وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾(١)، وَبَيَّنَ جَلَّ وَعَلا تَغَيُّرَ حَالِ الإِنْسَانِ، فَفِي حَالِ الرَّخَاءِ بَطِرٌ أَشِرٌ، وَفِي حَالِ الشِّدَّةِ قَنُوطٌ جَزِعٌ، يَنْسَى رَبَّهُ فِي الرَّخَاءِ، وَلا يَذْكُرُهُ إِلاَّ عِنْدَ الشِّدَّةِ وَالبَلاءِ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾(٢)، وَالتَّقْصِيرُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ المَرْءِ نَفْسِهِ، إِذْ لَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ إِلاَّ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ، فَلا يَعْجَبْ إِنْ أُصِيبَ بِبَعْضِ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، فَذَلِكَ مَا قَدَّمَ لِنَفْسِهِ، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾(٣)، وَعَدَمُ الرُّجُوعِ إِلَى اللهِ هُوَ سَبَبُ نِسْيَانِ اللهِ لِلإِنْسَانِ المُفَرِّطِ، يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾(٤)، وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى الهَلاكِ

(١) سورة فاطر / ١٥-١٧ .

(٢) سورة فصلت / ٥١ .

(٣) سورة آل عمران / ١٦٥ .

(٤) سورة التوبة / ٦٧ .

وَحِرْمَانِ البَرَكَاتِ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(١)، وَقَدْ حَذَّرَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلا مِنَ الغَفْلَةِ عَنْهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٢).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ اللهَ فَتَحَ أَبْوَابَ كَرَمِهِ، وَبَسَطَ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لِخَلْقِهِ، وَدَعَانَا إِلَى سُؤَالِهِ وَطَلَبِ نَوَالِهِ، بَلْ يُحِبُّ مِنَّا الإِلْحَاحَ فِي المَسْأَلَةِ؛ لأَنَّهَا تُظْهِرُ ذُلَّ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيِ الغَنِيِّ الكَرِيمِ، وَاسْمَعْ إِلَى هَذِهِ الضَّرَاعَةِ مِنْ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِي خُفُوتٍ وَسُكُونٍ، لَكِنَّهَا مِنْ أَعْمَاقِ القَلْبِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(٣)، هَذِهِ قِمَّةُ المُنَاجَاةِ وَالضَّرَاعَةِ فِي ذِلَّةٍ وَانْكِسَارٍ، لِذَلِكَ جَاءَتْهُ البُشْرَى مِنَ اللهِ، وَكُلَّمَا تَضَرَّعَ العَبْدُ أَغَاثَهُ رَبُّهُ مِنْ سَيْبِ فَضْلِهِ وَوَاسِعِ جُودِهِ، وَقَدْ دَعَانَا إِلَى شُكْرِهِ لِمَزِيدِ عَطَائِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(٤).

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَتَعَلَّقُوا بِحَبْلِ اللهِ؛ يُفَرِّجْ هُمُومَكُمْ وَغُمُومَكُمْ، وَيُؤْتِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (٥).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ

---

(١) سورة الأنعام / ٤٤ .

(٢) سورة الحشر / ١٩ .

(٣) سورة مريم / ٢-٤ .

(٤) سورة إبراهيم / ٧.

(٥) سورة الأحزاب / ٥٦ .

عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.